

أدبية النصوص التعليمية في المدرسة الجزائرية – المرحلة الابتدائية نموذجاً
**The literary aspects of educational texts in Algerian
primary schools: a case study**

المؤلف: أ.د طاطة بن قرماز

tatabenguermaze@gmail.com

جامعة الشلف – الجزائر

الملخص:

تعرف أدبية الأدب بالتعبير عن الحقيقة بأسلوب جمالي وبنقل الواقع فناً باعتبار الفن لا يعكس الواقع بل الروح المطلقة وشعرية الأدب ناجمة من جمال أسلوبه وصوره التخيلية الفنية والايقاعية وبانزياحاته اللغوية¹، كما ترتبط أدبية الأدب بوظيفته وقيمه الشاحصة في الوظيفة الاجتماعية والتأثيرية و الامتاعية والاحبارية والنفسية

الكلمات المفتاحية :

الانزياح، الأسلوب، التخيل، التأثير، الفن والجمال، الايقاع.

Abstract

The literary quality of literature is defined as expressing the truth in an aesthetic style and conveying reality as an art, considering that art does not reflect reality but the absolute spirit. The poetic quality of literature stems from the beauty of its style, its imaginative and rhythmic artistic images, and its linguistic deviations. The literary quality of literature is also linked to its function and values, which are embodied in the social, influential, entertaining, informative, and psychological functions.

Keywords: Displacement, style, imagination, effect, art and beauty, rhythm.

توطئة :

تكمّن وظيفة الأدب في وصف الظواهر الجمالية بمشاعر تعبّر عن جمالية الموضوع تعبيراً سلساً بلغة رشيقة واضحة ، وخاصة إذا نحى الكتاب و المنشؤون منحى النظر إلى الأشياء نظرة جمالية خالصة فهنا تكون الذات المتلقية نظرتها للأشياء جميلة وحتى أبسط الموضوعات تتمتع بجمال يتفاوت ويتدرج حسب سهولة وإدراك موضوعه فما كان إدراكه أسهل فهو الأكثر جمالا بالنسبة للطفل لأن الجميل في أصل جوهره هو ما يظهر أو يكشفه المثال الكامن في الموضوع بطريقة واضحة معبرة

إنّ اللغة الأدبية الشعرية تقدم نفسها شعراً وفق رأي رينيه وليك واوستن وارين² من خلال كتاب نظرية الأدب، وكلّ عمل فني يستوجب ترتيباً وتنظيماً ووحدة على مواده كما أن الوصول إلى أدبية الأدب يتطلب مفهومات جمالية عامة من مثل التأمل الخاص ، البعد الجمالي ، فقد يمكن لنا أن نعد النصوص الأدبية التعليمية التي تقدم لتلاميذ المرحلة الابتدائية شكلاً من أشكال الفن باعتبارها نصوصاً جمالية ، فكل أدب تغلب عليه الوظيفة الجمالية يرقى إلى مستوى التأثير والامتناع ، وإن الوظيفة الجمالية للأدب تعترف بوجود عناصر جمالية في تشكيل النصوص الأدبية مثل الأسلوب والتأليف ، وحتى وإن كانت النصوص تقع خارج إطار الوظيفة الجمالية بالنظر إلى بعدها الأخلاقي أو الاجتماعي فإنها تندرج ضمن الأدب لكن بتدرجات أدبية متباينة ومستويات جمالية متفاوتة في الجمال والتذوق الفني ، وهذا إذا ما استبعدنا عنصر التخيل والمجاز عن صفة الأدب الابتداعي ، الذي قد يستغني عن استعمال الصور المجازية وخلو لغته من اللغة المشحونة بالتصوير ، ويمكن اعتبار النصوص الأدبية التعليمية والتي تأتي مشحونة بالشعرية بأنها أشعار تقريرية بالنظر إلى جنوحها إلى تعاطي الحسيّة ، بتوظيف المحسوسات البصرية والسمعية من الطبيعية والبيئة ،

لذلك اعتبر رينيه وليك الفن هو القدرة على الرؤية الصافية وهذه الرؤية تزداد وضوحا وبيانا وإشراقا مع حسن تحيّر المفردات اللغوية و سبك الكلمات المختارة سبكا محكما وبطريقة رصّها جنبا إلى جنب لتكون مواتية منسجمة في سياق موضوعها ، فالعمل الأدبي الفني ليس موضوعا بسيطا بل هو تنظيم معقد بدرجة عالية وذو سمة متراكبة مع تعدد في المعاني والعلاقات³ ، فطبيعة الشيء تنتج من استعماله ومن طريقة توظيفه توظيفا صحيحا يخدم المنفعة الذاتية و العامة قبل كلّ شيء

تؤدي النصوص التعليمية لمادة اللغة العربية في المدرسة الجزائرية لمرحلة التعليم الابتدائي دورا توجيهيا تربويا تعليميا ، وظيفتها الفائدة والتعليم بواسطة المتعة الجمالية ، فالعمل الأدبي يكون وفق هذا التصور يؤدي تأدية ناجحة في تحقيق متعة رفيعة ، لأنها متعة تسعى إلى إثبات ذاتها للقارئ بمدى فاعليتها بل بأرفع أنواع الفعالية ، أي بالتأمل في النصوص التعليمية وهو تأمل غير اكتسابي بل ينمي ويتربى لدى تلميذ المرحلة الابتدائية فيستمد جديته من الاحساس بجماليته.

والأدب في أصل طبيعته يتسم بطبيعة خالدة ، بالنظر إلى قيمته ، والقيم تتعدد من قيمة سيكولوجية إلى قيمة تعليمية إلى قيمة أخلاقية دينية إلى قيمة ذوقية امتاعية

تحليل النصوص :

ونحاول أن نعطي نماذج مصغرة لنصوص أدبية تعليمية في مادة اللغة العربية لمرحلة التعليم الابتدائي

فهذا نصّ عنونه : في القسم للسنة الأولى ابتدائي :

دخل سامي القسم مبكرا

سلم على معلمته

جلس في مكانه

بدأ الدرس

تقوم خصوصية هذا النصّ على منحى تعليمي تثقيفي وإلى تنمية سلوك الانضباط لدى الطفل وصقل شخصيته من خلال مظاهر الالتحاق في الوقت المحدد للدراسة دون تأخير إلقاء التحية التحلي بأخلاق الرقيّ والأدب

أما النصّ الثاني فهو : النظافة من الإيمان للسنة الثانية ابتدائي :

استيقظت صباحا ، وغسلت وجهي ويديّ

وربّبت سريري ولبست ملابسني

أحبّ النظافة لأنها تجعلني نشيطا وسعيدا

يتضمن النصّ غاية تدريبية على ممارسة التلميذ للمسؤولية الشخصية بالاعتماد على نفسه وعدم الاتكال من خلال قيامه بأعمال تراتبية متعاقبة ، يدعو فيها الكاتب التلميذ إلى ضرورة الاستيقاظ مبكرا ، والاستعداد إلى المدرسة بدءا من ممارسة غسل وجهه ويديه إلى ارتداء ملابسه ، إذا يهدف هذا النص إلى حثّ التلميذ على الثقة بالنفس بغرض تقوية شخصيته ، إلى أن يتدرج الكاتب للوصول بالتلميذ إلى حبّ النظافة وممارستها فعليا ، إذ يتمخض عن السلوكات السابقة إلى إنتاج شخصية تلميذ نشطة سعيدة ، وأن نشاط التلميذ وسعاده مرهونة بمدى انضباطه ، وسهره على نظافته الشخصية التي تحقق له منفعة ذاتية ، والفائدة منها بثّ المتعة في نفسه بإحساسه الجمالي بالنشاط والحركة و مشاعر السرور

أما النصّ المقتبس من برنامج السنة الثالثة ابتدائي عنوانه :

حديثتنا :

في مدرستنا حديقة جميلة

فيها أشجار خضراء وزهور ملوّنة

يلعب التلاميذ قربها ويحافظون على نظافتها

يلحظ القارئ أن عنوان النص يمثل وظيفة جمالية تفسّر إحساس المتعة بملكية العامة وهو عنوان يجعل التلميذ يستشعر مسؤوليتها من خلال اعتباره للحديقة بأنها حديقة تخصه هو وليس المدرسة فحسب فتزيد من عبء مسؤوليته وبذل اجتهاد بالتفاني الإرادي الواعي للحفاظ على منظرها ، فالنص يقوم على توصيف جمالي لحديقة المدرسة وتنتشر فيها دلالة الشمول وانتشار إحساس مشترك ، فقول الكاتب في مدرستنا وتوظيفه للضمير الجمعي ينعش هرمون المسؤولية لدى الطفل ، ويجعله شريكا مسؤولا مساهما في الحفاظ على ممتلكات مدرسته بلغة بسيطة مفهومة ، يتخلل هذا النص أسلوب إغرائي يتمثل في عرض لوحة جمال لحديقة المدرسة فيجعل كاتب النص التلميذ يستشعر جمال الحديقة من خلال إجادته في تصوير أشجارها الخضراء وزهورها الملونة الباعثة على بثّ متعة الاستئناس بها والايلاع بألوانها المغرية. بلغة أدبية تحتكم إلى شعرية تصوير الحديقة ومحاكاة الطبيعة أشجارا وأزهارا

يدعو كاتب النص التلميذ إلى الحفاظ على نظافة الحديقة بأسلوب استدراجي بعرض جمال الحديقة أولا بغاية تهيئة خاطره بانطباع جمالي يقع فيه لأول وهلة ، ومن ثمة إقناعه بأن جمالها يستمر ويدوم بالحفاظ على هيئتها كما هي ، وهي دعوة صريحة تبناها الكاتب بعد أن علّم التلميذ جدية الادراك الحسي للحديقة ومن ثمة ولد فيه جدية الاحساس بالجمال

وفي نص السنة الرابعة ابتدائي

الطفل الصادق :

يمثل هذا النص وظيفة أخلاقية يحث التلميذ على الاتسام بخصال حفظ الأمانة بين الأدائين : أداء عذب وأداء مفيد ، ويأتي المفيد متعبا للعذب وهو أسلوب أدبي اعتمده الكاتب

لاستدراج ذوق التلميذ وتقيئته للتعرف على الجمال الذي يحيط به حسياً وغير محسوس في الوقت ذاته ، فالجمال كما يلفت إليه الكاتب هنا في هذا نصّ يدل على تحسيس التلميذ بأن الجمال موجود بداخلنا أو بالأحرى بداخل التلميذ ، وبالتالي تربية ملكة الجمال وتذوق الجمال تنبع من ذاته هو و من خلال ما يحسه بما يحيط به، أو بما يصادفه من مواقف وتجارب في محيطه وحياته ، يولد الشعور الذاتي بالجمال المنبعث من الداخل إلى الخارج لدى التلميذ الإحساس بالرضا والثقة بالنفس ، حين قال الكاتب:

وجد أمين محفظة في ساحة المدرسة

فتحها فوجد مالا وبطاقة

أعادها إلى صاحبها فشكره الجميع

شعر أمين بالفخر لأنه كان صادقا

ف فعل شعر هو قيمة إمتاعية و متعة انتابت التلميذ لحظة أعادته لمحفظة زميله وإحساسه بلذة قيمة الأمانة وبحلاوة هذا الشعور الذي زاد من ثقته بنفسه واعتزازها بأمانته وهذه الأحاسيس تترجم عند التلميذ باسم الجميل ، فالجميل هنا ساقه الكاتب للتلميذ ليس بصفة فردية ، فحسب بل كان الجميل بالنسبة للجميع بما فيها صاحب المحفظة وكل الزملاء والمعلم ، لأن تفسير الجمال في أصله الفلسفي يقوم على ما نرضى عنه بشكل عام والحكم أن موضوعا ما هو جميل يجب أن يكون صادرا من صوت كلي .جماعي ،

أما نص السنة الخامسة ابتدائي ،

الماء سرّ الحياة

السنة الخامسة ابتدائي

نصّ تفسيري

الماء نعمة عظيمة ، به نحيا وتعيش الكائنات

نستعمله في الشرب والزراعة والنظافة

يجب علينا ترشيد استهلاكه وعدم تلويثه

يسعى الكاتب في هذا النص إلى تثبيت ركائز الذات على الاحساس .بمعنى قيمة الماء لتحاشي الاسراف و التبذير في الوقت ذاته ، فالكاتب يقدم النصيحة بذكاء واضح للتلميذ فيعمل على استهلال النص بمقدمة تعطي مجالا لتهيئة عقل التلميذ لاستقبال النصيحة واستساغتها طواعيا دون أي إكراه أو إملاء في صيغة أوامر منفرة ، فلكي نصل إلى كمال الغاية للموضوع الجمالي الذي يمهّد له الكاتب والمائل في الحفاظ على كيفية استعمال الماء دون تبذيره والتنشئة على أخلاق الترشيح وعدم تلويث الماء يتوجب على التلميذ استيعاب فائدة الماء أولا بوجود مفهوم واضح ومحدّد في ذهن التلميذ وتبقي علاقة تأمله مباشرة بين الذات والموضوع وبين فائدة الماء وإدراك قيمته وبالتالي الاقتناع الشخصي والايان بعدم اسرافه.

خلاصة :

تقوم النصوص التعليمية في مرحلة التعليم الابتدائي بالمدرسة الجزائرية على فوائد اللذة والمنفعة والعدوبة التي تأتي في شكل أحكام جمالية تركز على عنصر اللذة الناتجة عن عمليات تأملية ذهنية يتم فيها التفاعل مع موضوعات النصوص تجسيدا لتفاعل ملكتي الفهم والخيال في ذات التلميذ المتذوقة لموضوع الجمال عن طريق حواسه: النظر واللمس والذوق ، أي تربية الحسّ الجمالي لديه، فالموضوع الخارجي مثل الاستعداد للدراسة و وصف حديقة المدرسة، وموضوع الأمانة وموضوع التحسيس بقيمة الماء في حياة الطفل كلها مظاهر باعثة على الرضا والفخر بالنفس والاحساس بمتعة الجمال ولذة تذوقها ، ثم تليها عملية التربية على ثقته بنفسه

واعتزازها بها ، فالحفاظ على الممتلكات العامة لا يكون إلا بتكوين مواطن صالح ، يتلقى دروسا في معنى المواطنة الصالحة بالتنشئة على حسّ جمالي ع منذ صغره على قيم و مبادئ الشخصية الجزائرية والهوية الوطنية

¹ ينظر أفراح لطفي عبد الله ، نظرية كروتشه الجمالية ، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، 2011، ص: 193.

² ينظر رينيه ويليك وراين أوستن ، نظرية الأدب ، ص: 43

³ نظرية الأدب رينيه ويليك وراين استن — ترجمة : ، ص: 27